النعمة والحق

9-10 Sep Oct 2023

النعمة والحق

مجلة مسيحية تصدر مرة كل شهرين

السنة الحادية والثلاثون

سبتمبر وأكتوبر ٢٠٢٣

العدد ١٨٥

في هذا العدد

افتتاحية العدد	اقبل ما يعلمك إياه	١
موضوع العدد	قصة إنسانين	٣
موضوع العدد	الإنسان الجديد وتأثيره العملي	١١
موضوع العدد	الإنسان الجديد وتأثيره العملي	١٥
الأخبار السارة	التغيير الشامل	٢١
دراسات مسلسلة	حياة بولس	٢٢
تأملات هادئة	أفضل الأشخاص، هم في النهاية بشر	٣١
من روائع الكلمة	التدابير السبعة	--

ما يقدمه المسيح هو

تغيير إلهي كامل

وشامل داخليًا

وخارجيًا...

حاضرًا وأبدياً

❋

اقرأ الأخبار

السارة

ص ٢١

- الاشتراك السنوي (٦ أعداد) ٣٠ جنيهاً و ١٠ دولارات في الخارج (بخلاف أجرة الإرسال بالبريد). بريد إلكتروني: gt_mag@yahoo.com
- جميع الحوالات والمراسلات على ص.ب. ١٩٧ - رقم بريدي ١٢٣١١- الإسكندرية. مع مراعاة وضوح الاسم والعنوان كاملاً.
- رقم الإيداع بدار الكتب ٦٤٦٢ لسنة ١٩٩٣ - النعمة والحق ت: ٤٢١٢٤١٩ – الإسكندرية (٠٣).

اقبل ما يعلّمك إياه

يقدِّم العهد القديم العديد من الأمثلة والرموز التي تعبِّر عن جوانب من مسيرتنا كمؤمنين. فعلى سبيل المثال، يبدأ سفر الخروج بوصفٍ لحالتنا كعبيدٍ، تحت حُكم شخصٍ لا يلقي أدنى بالٍ لله (انظر خروج ١: ٨)، متورِّطين في شؤون العالم ورغباته (خروج ١: ١١-١٤). لكن الله، الذي اختارنا من قبل تأسيس العالم، لم يكن بغافلٍ عنا (أفسس ١: ٤؛ خروج ٢: ٢٤-٢٥).

وقد تحقَّق تحرير شعب الله الأرضي من عبودية أرض مصر بواسطة موسى، الذي اختاره الله منقذًا (خروج ٣). لكنَّ منقذنا نحن هو الرب يسوع، الذي جاء في الوقت المعيَّن إلى هذا العالم، ليخلِّصنا من الخطايا (غلاطية ٤: ٣-٤؛ متى ١: ٢١). فإن عمله على الصليب أباد إبليس، ساحقًا رأسه (عبرانيين ٢: ١٤؛ تكوين ٣: ١٥). وصحيح أن تحقُّق ذلك سوف يكتمل تمامًا في يوم آتٍ (رؤيا ٢٠: ١٠)، لكنَّ الغلبة تمَّت بالفعل (١كورنثوس ١٥: ٥٧)! وبهذا العمل الواحد، نلنا نحن الخلاص بدم الحمل، وتحرَّرنا من عبودية الخطية (خروج ١٢؛ يوحنا ١: ٢٩؛ رومية ٦: ٥-١١)!

وفي حياتنا العملية، نحن نصارع ونعاني، نظير العديد من بني إسرائيل الذين ارتحلوا عبر البرية. فربما نفقد صوابنا للحظة، ولا نتعامل مع الرب كما يليق بقداسته (العدد ٢٠: ٧-١٢). وربما نتذمَّر أيضًا على ما دبَّره لنا بعنايته - الذي كان من المفترض أن يجذبنا إليه - ونرغب في أن يحلَّ محله ما كان لدينا قبل أن نخلص (خروج ١٦؛ العدد ١١: ٤-٨؛ يوحنا ٦: ٢٩-٥٨). كما أننا قد نعصاه، ونذهب في الطريق الذي نختاره نحن (العدد ١٤). وفي بعض الأحيان، نفضِّل الأمور المنظورة، بدلاً من أن نثق ببساطة في ذاك الذي لا يُرى (خروج ٣٢). وفي بعض الأحيان أيضًا، يضعف إيماننا، فنعثر، سالكين بحسب الطبيعة التي أُنقِذنا منها. لكن الآب، في محبته، يقوِّمنا ويؤدِّبنا (عبرانيين ١٢: ٣-١١) .

في خضم كلِّ ما حدث في تلك الأيام القديمة، كان يشوع رجلاً ظلَّ أمينًا للرب (العدد ١٤: ٦-١٠). صحيح أنه هو أيضًا أخطأ بالتأكيد (يشوع ٩)، لأنه كان إنسانًا مثلنا تمامًا، إلا أن شهوة قلبه كانت أن يوجَد دائمًا في محضر الرب، وأن يعبد الربَّ كلُّ أهل بيته، والأمة بأكملها أيضًا (خروج ٣٣: ١١؛ يشوع ٢٤: ١٤-١٥).

يعمل الرب من خلال عبيده الطائعين والأمناء، كما فعل من خلال موسى ويشوع، لمجده ولبركة الآخرين. ليتنا نتأمَّل في تلك الأمثلة التي وضعها الله أمامنا في كلمته، مطبِّقين الدروس التي يعلِّمنا إياها على حياتنا. فإنه يَعلَم جيدًا أننا لا نزال بحاجة إلى التعلُّم!

قصة إنسانَين

يبدو أن العالم ينهار من حولنا. فقد كَثُر الظلم، والاضطراب الاجتماعي، والحروب، والعنف، والانحلال الأخلاقي. بل وإن المخاوف البيئية تزداد، والكوارث الطبيعية تتفاقم. فإن آلام العيش في عالم ساقط ليست بعيدة عن أيٍّ واحدٍ منا على الإطلاق

لكن حين يصنع الله الكلَّ جديدًا، سيكون الأمر رائعًا للغاية! فإن هذا العالم الذي يئنُّ سيحلُّ محلَّه عالمٌ آخر. كتب بطرس يقول: «وَلَكِنَّنَا بِحَسَبِ وَعْدِهِ نَنْتَظِرُ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً، وَأَرْضًا جَدِيدَةً، يَسْكُنُ فِيهَا ٱلْبِرُّ» (٢بطرس ٣: ١٣). فمع أن الخطية لا تزال تترك بصماتها المخرِّبة على الخليقة الحاضرة، فإنها لن تمس البتة الخليقة الجديدة، لأنه هناك سيسكن البرُّ، وستمضي «ٱلْأُمُورَ ٱلْأُولَى» إلى الأبد (رؤيا ٢١: ٤).

وإذا أُتيحت لنا الفرصة لنلقي نظرة مسبَقة على ذلك العالم، فكيف سيبدو لنا؟ ألن يكون رائعًا أن نرى عيِّنة من الحال الذي سيكون ذلك العالم عليه؟ حسنًا، إننا نستطيع ذلك بالفعل! فقد بدأ الله عمله بالفعل في

الخليقة الجديدة - وفي حقيقة الأمر، هو قد فعل ذلك في حياتك الشخصية، إذا كنتَ مؤمنًا حقيقيًّا. تذكّر الآية التالية: «إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي ٱلْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: ٱلأَشْيَاءُ ٱلْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا ٱلْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا» (٢كورنثوس ٥: ١٧). تشير بعض ترجمات الكتاب المقدس إلى أن النص اليوناني الأصلي لتلك الآية لا يحتوي على كلمة "فَهُوَ". ولذلك، سيكون من الأنسب قراءة هذه الآية كالتالي: "إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي ٱلْمَسِيحِ - خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ!" هذه عبارة مثيرة! فإن تغييرًا لحظيًّا ودائمًا يحدث كلما آمن أحدهم بالمسيح يسوع مخلِّصًا.

الإنسان العتيق

تمثِّل الرسالة إلى مؤمني أفسس، التي جاءت في العهد الجديد، موضعًا ملائمًا لتعلُّم المزيد عن ذلك العمل المتعلِّق بالخليقة الجديدة في حياتنا. تخبرنا هذه الرسالة أولاً عن «رَجَاءُ دَعْوَتِهِ» (أفسس ١: ١٨)، ثم تحثُّنا لاحقًا على السلوك كما يحق لهذه الدعوة، وذلك عن طريق إظهار تواضع المسيح ووداعته (أفسس ٤: ١-٥).

لكن، إذا أردنا إظهار تلك الصفات الحسنة، سيكون علينا ألا نسلك «فِي مَا بَعْدُ كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ ٱلأُمَمِ أَيْضًا بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ. إِذْ هُمْ مُظْلِمُو ٱلْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ ٱللهِ لِسَبَبِ ٱلْجَهْلِ ٱلَّذِي فِيهِمْ» (أفسس ٤: ١٧-١٨). فقد كنا قبلًا نعيش في الإثم، نظير غير المؤمنين هؤلاء. لكننا الآن قد تعلَّمنا المسيح (أفسس ٤: ١٩-٢٠).

لذلك، فقد أُعطينا في الرسالة ثلاث خطوات أساسية لإظهار نمط الحياة هذا المتمثِّل بالمسيح:

أولاً، علينا أن «[نخلع] مِنْ جِهَةِ ٱلتَّصَرُّفِ ٱلسَّابِقِ ٱلإِنْسَانَ ٱلْعَتِيقَ ٱلْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ ٱلْغُرُورِ» (أفسس ٤: ٢٢).

هذه الوصية بخلع «ٱلإِنْسَانَ ٱلْعَتِيقَ» مباشرة للغاية. وفي الواقع، هذه وصية عامة، وليست شخصية، إذ لم تقل "أن تخلعوا إنسانكم العتيق"، بل بالأحرى "أن تخلعوا الإنسان العتيق". صحيح أننا جميعًا، كأفراد، لدينا خطايانا الخاصة من أنانية، وشك، وطمع؛ وصحيح أنه من هذا المنطلق، ربما يكون أحدهم قد عاش في نوعٍ واحدٍ من الخطايا، في حين شكَّل جانبٌ مختلفٌ من الخطية جاذبية أكبر لشخصٍ آخر؛ لكن رغم هذه الاختلافات، لدينا جميعًا "الإنسان العتيق" نفسه، الذي يطالِب بأن يعيش الحياة على هواه، والذي يرفض إطاعة اللّه. فإن طبيعة ذلك الإنسان العتيق واحدة في كلِّ واحد منا، رجالًا ونساءً على حد سواء. وبالتالي، فإننا نوصى، ببساطة وبصورة مباشرة، بأن «نَخْلَعَ ٱلإِنْسَانَ ٱلْعَتِيقَ».

الذهن المجدَّد

ثم يوصينا النص بعد ذلك قائلاً: «تَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ» (أفسس ٤: ٢٣). هذه العبارة الصغيرة تُغفَل في بعض الأحيان. فكما يسلك غير المؤمنين «بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ» (أفسس ٤: ١٧، المذكورة أعلاه)، على المؤمنين أيضًا أن يسلكوا بأذهان مجدَّدة. فإن ما نفكِّر فيه يمثِّل أهمية عظمى! وتوجد الكثير من البراهين الكتابية على ذلك. على سبيل المثال، يوصينا فيلبي ٤: ٨ بأن نفتكر في كلِّ ما هو «حَقٌّ ... جَلِيلٌ ... عَادِلٌ ... طَاهِرٌ ... مُسِرٌّ ... صِيتُهُ حَسَنٌ، إِنْ كَانَتْ فَضِيلَةٌ وَإِنْ كَانَ مَدْحٌ». فإذا كانت أفكارنا مَبنيَّة على شخص اللّه، وما فعله لأجلنا بواسطة المسيح، سيكون لنا «ٱهْتِمَامَ

["فكر"] ٱلرُّوحِ»، كما نقرأ في رومية ٨: ٦. وعلى النقيض، إذا كنا نفكر بطريقة خاطئة في الآخرين، فسرعان ما سنصبح مثيرين للشقاق. وإذا كنا نفكِّر بطريقة خاطئة في أنفسنا، فسرعان ما سنسقط. وإذا كنا نفكِّر بطريقة خاطئة في الله، فإننا سنظن أن طرقنا صالحة ومقبولة، تمامًا مثل طرقه (انظر ١كورنثوس ٤: ٦؛ ١٠: ١٢؛ أعمال الرسل ١٧: ٢٩). وبالتالي، تؤثِّر أفكارنا قطعًا في سلوكنا.

يجدر بنا أن نلاحظ كمَّ النصوص الكتابية التي تخاطب أذهاننا. فإن عبارة «نحن نَعلَم» القاطعة وردت عشرات المرات في العهد الجديد، وهي تتعلَّق بما يمكن للمؤمنين فحصه، وإدراكه، والتصريح بصحته في يقينٍ. أحد المؤمنين، الذين كانت تتاح له الكثير من الفرص للتحدُّث إلى مؤمنين منزعجين ومضطربين، قال إنه ليس من الضروري دائمًا أن نسأل أحدهم قائلين: "بمَ تشعر اليوم؟ . لكن من الجيد دائمًا أن نسأله قائلين: "فيمَ تفكِّر اليوم؟"

كذلك، يسلِّط ذلك المقطع المحبَّب الذي جاء في رومية ١٢: ١-٢ الضوء على أذهاننا. فإذا كنا نرغب في تقديم أجسادنا لله ذبيحةً حيةً، مقدَّسة، مَرضية عنده، علينا أن نتغير كليًّا عن شكلنا، بتجديد أذهاننا، وإلا فإننا سنجد أنفسنا وقد تبنَّينا أسلوب العالم في فهم الحياة، بدلاً من السعي إلى فهم وجهة نظر الله.

إن فعل تجديد الذهن هو عمل مستمرٌّ. فحين أوصانا أفسس ٤: ٢٢ بأن «نخلع» الإنسان العتيق، جاءت الوصية في زمن الماضي، وهو ما يوحي بأننا يجب أن نسلك كما لو كان هذا قد تمَّ بالفعل. أما الوصية بأن "نتجدَّد"

بـروح ذهننـا (أفسـس ٤: ٢٣)، فجـاءت في زمـن المضـارع، وهـو مـا يعـني أننـا يجـب أن نتجـدَّد باسـتمرار. فقـد كنـا بـالأمس في حاجـة إلى أذهـان مجـدَّدة، لكننـا نـحتاج في هـذا الصـباح أيضًـا أن نتجـدَّد مـرة أخـرى. وفي الغـد أيضًـا، سـنكون بحاجة إلى ذلك.

لاحـظ أيضًـا أن هـذا التجديـد يكـون بـروح ذهننـا. هـذا تعبـير فريـد مـن نوعـه، يسـتحق بعـض الدراسـة. فهـو لا يشـير إلى الـروح القـدس، ويبـدو أيضًـا أنـه لا يشـير إلى أرواحنـا. لكـن، عنـدما تقتـرن كلمـة "روح" باسـم آخـر، يبـدو المعـنى وكأنـه يشـير إلى توجُّـه قلـبي، أو إلى طريقـة تفكـير. فعلـى سـبيل المثـال، نقـرأ عـن «رُوحِ ٱلْوَدَاعَـةِ»، و«رُوحَ ٱلْفَشَـلِ»، وتعبـيرات أخـرى مـن هـذا القبيـل (غلاطيـة ٦: ١؛ ٢تيموثاوس ١: ٧).

وكمـؤمنين، نـحن لم نأخـذ "رُوحَ ٱلْعَـالَمِ". ولـذلك، فـإذا حاولنـا أن نسـلك بموجـب هـذه العقليـة، لـن نعـرف البتـة الأشـياء الموهوبـة لنـا مـن اللّه (١كورنثـوس ٢: ١٢). لكـن في المقابـل، يـأتي إلينـا الحـق الإلهـي بـالروح القـدس. وفي الوقـت نفسـه، يبـيِّن المقطـع الـذي جـاء في أفسـس ٤ أن اللّه لا يحـوِّل المـؤمن إلى مـؤمن آليٍّ مـن نـوعٍ مـا. فمـع أن الحـق الإلهـي قـد أُتيح لنـا بالتأكيـد بـالروح القدس، لكننا نـحتاج أيضًا إلى قبول هذا التجديد المستمر بروح أذهاننا.

وبمـا أن روح العـالم يحـاول باسـتمرار أن يـؤثِّر في أفكارنـا، فإننـا نـحتاج دائمًـا أن نفحـص أفكارنـا في ضـوء مـا نَعلَـم أنـه حـقٌّ مـن كلمـة اللّه. وربمـا نكتشـف يومًـا مـا، بمعونـة الـروح القـدس، أن أحـد توجهاتنـا أو معتقـداتنا قـد انـحرف بطريقـة مـا، أو صـار متعارضًـا مـع المبـادئ الكتابيـة. إذا حـدث ذلـك، دعونـا لا نقـاوم التقـويم! فـإذا ادَّعينـا أن أفكارنـا صـائبة، وأن اللّه هـو المخطـئ، لـن يكـون

لـــدينا أيُّ أســـاسٌ نقـــف عليـــه. أمـــا إذا سمحنـــا لكلمـــة اللّه وروحـــه بتقـــويم وتجديد أذهاننا، فإننا سنظل واقفين دائمًا على أرض صلبة وآمنة.

الإنسان الجديد

وأخـــيرًا، بعـــدما خلعنـــا الإنســـان العتيـــق، واكتســـبنا تلـــك العـــادة اليوميـــة المتمثِّلـــة في أن نتجـــدَّد بـــروح أذهاننـــا، نســـتطيع أن نلـــبس «ٱلإِنْسَـــانَ ٱلْجَدِيـــدَ ٱلْمَخْلُـــوقَ بِحَسَـــبِ ٱللهِ فِـــي ٱلْبِـــرِّ وَقَدَاسَـــةِ ٱلْحَـــقِّ» (أفســـس ٤: ٢٤). وهـــذا الإنســـان الجديـــد لـــيس نســـخة معدَّلـــة أو أفضـــل نوعًـــا مـــا مـــن إنســـاننا العتيـــق، لكنها خليقة جديدة تمامًا من عند اللّه.

بطبيعـــة الحـــال، توجـــد بعـــض الوســـائل الـــتي يمكـــن للبشـــر أن يحسِّـــنوا بهـــا مـــن أنفســـهم. فبإمكـــانهم أن يُنقِصـــوا مـــن وزنهـــم، أو يحسِّـــنوا مـــن عـــاداتهم الغذائيـــة، أو يمارســـوا الرياضـــة، أو يقلعـــوا عـــن التـــدخين، أو يقـــرأوا الأدب الكلاســـيكي، أو يتعلَّمـــوا مهـــارات جديـــدة، وغـــير ذلـــك أيضًـــا. هـــذه الأمـــور ليســـت خاطئـــة في حـــد ذاتهـــا، ولا بـــأس بهـــا، لكنهـــا لا تســـتطيع إصـــلاح ذلـــك الإنســـان العتيـــق الفاســـد، ولا تســـتطيع أيضًـــا أن توجِـــد الإنســـان الجديـــد المخلـــوق بحســـب اللّه. فـــإن ذلـــك الإنســـان الجديـــد هـــو في حقيقـــة الأمـــر حيـــاة المســـيح، الـــتي تنشـــأ بـــداخل المـــؤمن. فإنـــه إظهـــارٌ للحـــق كمـــا هـــو في يســـوع (أفســـس ٤: ٢١)، وهـــو مـــا معنـــاه أن نعـــيش ونـــحب مثـــل المســـيح (أفســـس ٤: ٢٥-٥: ٢). يقـــول مقطـــع مـــوازٍ لهـــذا، وهـــو كولوســـي ٣: ٩-١٧، إنـــه حـــين يكـــون الإنســـان الجديـــد موجـــودًا، يكـــون «ٱلْمَسِيحُ ٱلْكُلُّ وَفِي ٱلْكُلِّ» (كولوســـي ٣: ١١).

إن طبيعـــة المســـيح تمجِّـــد اللّه دائمًـــا. وبالتـــالي، فإننـــا، في هـــذا الإنســـان الجديـــد، سنســـلك في الـــبر والقداســـة؛ وســـنكون لطفـــاء، ومتواضـــعين، وودعـــاء، وطـــويلي

الأناة، ومتسامحين، ومحبِّين، وشاكرين. كذلك، ستكون لنا شهية مفتوحة على كلمة الله، وسنردِّد في قلوبنا وعلى شفاهنا ترنيمة النعمة. لكن إذا كنا نفتقر إلى جمال التشبُّه بالمسيح هذا، في أيِّ جانب من جوانب حياتنا، دعونا نطلب من الله أن يمنحنا تجديدًا لأذهاننا في هذا الجانب. ونستطيع أن نتيقن تمامًا من أنه متلهِّف لمساعدتنا!

لاحظنا سابقًا أن خلع الإنسان العتيق هو فعلٌ جاء في زمن الماضي، في حين أن تجديد أذهاننا هو فعلٌ جاء في زمن المضارع المستمر. وفي هذه الوصية الثالثة المتمثِّلة في أن نلبس الإنسان الجديد، نجد مرة أخرى الفعل وقد جاء في زمن الماضي. ومن ثَمَّ، علينا أن نسلك كما لو أننا قد لبسنا الإنسان الجديد بالفعل. هذا الأمر غاية في الأهمية. فليس علينا بلوغ مرحلة معينة من التقدم الروحي، حتى نرتقي إلى مستوى نوال الإنسان الجديد، بل إن الله قد أعطانا بالفعل هذا الإنسان الجديد! وكل ما علينا فعله هو أن نسلك في إدراكٍ لكونه قد فعل ذلك، مرة واحدة ونهائية.

العتيق والجديد

يقول المؤمنون في بعض الأحيان إن لديهم "طبيعة قديمة" و"طبيعة جديدة". ومع أننا قد نفهم المقصود بذلك، يجدر بنا أن نلاحظ أن هاتين العبارتين لم تردتا في الكتاب المقدس. فإن التعبير الكتابي الذي يصف حالتنا قبل أن نخلص هو أننا كنا «بِٱلطَّبِيعَةِ ٱبْنَاءَ ٱلْغَضَبِ» (أفسس ٢: ٣). فقد كنا غير طائعين لله، ومستحقين دينونته. لكن بعد الخلاص، صرنا «شُرَكَاءَ ٱلطَّبِيعَةِ ٱلإِلَهِيَّةِ» (٢بطرس ١: ٤). هذا لا يعني أننا صرنا آلهة، بل أننا صرنا الآن مقترنين بالرب يسوع، بواسطة وعود الله.

ومع أن مصطلحي "الطبيعة القديمة" و"الطبيعة الجديدة" ليسا كتابيين تمامًا، فإن فكرة وجود شيء قديم وشيء جديد وثيقة الصلة بموضوعنا. فإن إنساننا العتيق فاسدٌ وأنانيٌّ، وهو يميل باستمرار في ذلك الاتجاه (أفسس ٤: ٢٢). أما الإنسان الجديد، فإنه مخلوق على صورة الله (كولوسي ٣: ١٠).

إذن، هل نستطيع أن نقول إن إنساننا الجديد يمكن أن يخطئ؟ وهل يمكنه أن يكذب، أو يسرق، أو ينفد صبره، أو يفقد أعصابه، أو يشعر بالغيرة، أو ينظر في شهوة إلى شخص آخر، أو يستسلم للكبرياء؟ من الواضح أن مثل هذه الأمور مستحيلة على الإنسان الجديد! فإن «كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ ٱللهِ لَا يَفْعَلُ خَطِيَّةً» (١يوحنا ٣: ٧-٩).

وبالتالي، نحن المؤمنون بلا أدنى عذر فعليًّا. فإننا عندما نأتي إلى الله، بالإيمان بابنه، المخلِّص يسوع المسيح، هو يمنحنا إمكانية التصرُّف كما لو أن إنساننا العتيق قد نُحِّي جانبًا - وهو ما حدث بالفعل. كما أنه يزوِّدنا بالموارد اللازمة لنتجدَّد يوميًّا بروح ذهننا. كذلك، هو يعطينا، مرة واحدة ونهائية، إنسانًا جديدًا.

أجل، سيكون كلُّ شيء في نصابه الصحيح تمامًا في الخليقة الجديدة الآتية. لكن الآن أيضًا، إذا واصلنا السلوك في جدَّة الحياة، سيكون كلُّ شيء في نصابه الصحيح أيضًا، من الناحية الروحية. فيا له من امتياز أن نتمكَّن من إظهار هذه الخليقة الجديدة في المسيح أمام العالم!

«الإنسان الجديد»

وتأثيره العملي

«وَتَلْبَسُوا ٱلإِنْسَانَ ٱلْجَدِيدَ ٱلْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ ٱللهِ فِي ٱلْبِرِّ وَقَدَاسَةِ ٱلْحَقِّ» (أفسس ٤: ٢٤). بما أن «الإنسان الجديد» موجودٌ، فلا بد من وجود «الإنسان العتيق» أيضًا (أفسس ٤: ٢٢). ويتحدَّث الكتاب المقدس بالفعل عن «إِنْسَانَنَا ٱلْعَتِيقَ» (رومية ٦: ٦).

"الإنسان العتيق" هو الإنسان تحت رئاسة آدم، أي الإنسان الساقط. لم يكن شيء صالح في "الإنسان العتيق"، وقد قُضِي عليه على صليب المسيح. أشار الرسول بولس، في رسالته إلى أهل أفسس، إلى أنه يجب على المؤمنين: «أَنْ [يخلعوا] مِنْ جِهَةِ ٱلتَّصَرُّفِ ٱلسَّابِقِ ٱلإِنْسَانَ ٱلْعَتِيقَ ٱلْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ ٱلْغُرُورِ» (أفسس ٤: ٢٢). وكلَّم أهل رومية أيضًا قائلاً: «لأنهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ، نَصِيرُ أَيْضًا بِقِيَامَتِهِ. عَالِمِينَ هَذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا ٱلْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ ٱلْخَطِيَّةِ، كَيْ لا نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضًا لِلْخَطِيَّةِ» (رومية ٦: ٥-٦). لذلك، فعندما مات المسيح، مُتنا نحن أيضًا معه. قال بولس: «مَعَ ٱلْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لا أَنَا، بَلِ

ٱلْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ» (غلاطية ٢: ٢٠). وفي هذه الآية، تشير تاء المتكلم في «صُلِبْتُ» إلى الإنسان العتيق، أي إلى الإنسان الساقط الذي لا تستطيع طبيعته سوى أن تخطئ.

لكن، يوجد الآن الإنسان الجديد، الذي يتمثَّل بطبيعة المسيح. فإن الإنسان الجديد هو ما يكون عليه المؤمنون بالرب يسوع، في المسيح. «إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي ٱلْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: ٱلأَشْيَاءُ ٱلْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا ٱلْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا» (٢كورنثوس ٥: ١٧). وبما أننا في المسيح، سيَظهَر في حياتنا كلُّ ما ينطبق عليه.

ليس المسيح هو الإنسان الجديد، لأنه لم يُخلَق قط، لكنه هو الخالق. «فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ ٱلْكُلُّ ... ٱلْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. ٱلَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ ٱلْكُلُّ» (كولوسي ١: ١٦-١٧).

وبعدما لبسنا نحن المؤمنين الإنسان الجديد، سيُرَى البرُّ والقداسة في حياتنا. "البرُّ" هو كلُّ ما هو حق وصائب أمام الله؛ أما "القداسة"، فهي سلوكنا مع الله وقدام الله في تكريس وانفصال. فإن زكريا "تَنَبَّأَ قَائِلاً: «مُبَارَكٌ ٱلرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ ... أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلا خَوْفٍ، مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا، نَعْبُدُهُ، بِقَدَاسَةٍ وَبِرٍّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا» (لوقا ١: ٦٧-٦٨، ٧٤-٧٥).

كـذلك، بعـدما لبسـنا الإنسـان الجديـد، علينـا أن نلـبس «أَحْشَـاءَ رَأْفَـاتٍ، وَلُطْفًـا، وَتَوَاضُـعًا، وَوَدَاعَـةً، وَطُـولَ أَنَـاةٍ، مُحْتَمِلِـينَ بَعْضُـكُمْ بَعْضًـا، وَمُسَـامِحِينَ بَعْضُـكُمْ بَعْضًـا ... وَعَلَـى جَمِيـعِ هَـذِهِ ٱلْبَسُـوا ٱلْمَحَبَّـةَ ٱلَّتِـي هِـيَ رِبَـاطُ ٱلْكَمَـالِ» (كولوسـي ٣: ١٢-١٤). وقـد تجلَّـت كـلُّ هـذه الصـفات بكـلِّ كمـال في الرب يسوع:

- أحشـاء رأفـات: «فِـي ٱلْمَسِـيحِ ... تَسْـلِيَةٌ مَـا لِلْمَحَبَّـةِ ... أَحْشَـاءٌ وَرَأْفَـةٌ» (فيلبي ٢: ١)
- لطف: «لُطْفُ مُخَلِّصِنَا ٱللهِ وَإِحْسَانُهُ» (تيطس ٣: ٤)
- تواضـع: «وَضَـعَ نَفْسَـهُ، وَأَطَـاعَ حَتَّـى ٱلْمَـوْتَ، مَـوْتَ ٱلصَّـلِيبِ» (فيلـبي ٢: ٨)
- وداعة: «وَدَاعَةِ ٱلْمَسِيحِ وَحِلْمِهِ» (٢كورنثوس ١٠: ١)
- طول أناة: «أَنَاةَ رَبِّنَا خَلاصًا» (٢بطرس ٣: ١٥)
- غفـران (مسـامحة): «كَمَـا غَفَـرَ لَكُـمُ ٱلْمَسِـيحُ هَكَـذَا أَنْـتُمْ أَيْضًـا» (كولوسـي ٣: ١٣)
- محبـة: «هَـذِهِ هِـيَ وَصِـيَّتِي أَنْ تُحِبُّـوا بَعْضُـكُمْ بَعْضًـا كَمَـا أَحْبَبْـتُكُمْ» (يوحنا ١٥: ١٢)

ليتنـا إذن نُظهِـر شـخص الـرب يسـوع في حياتنـا. فقـد تـابع الرسـول بـولس حديثـه في غلاطيـة ٢: ٢٠ قـائلاً: «ٱلْمَسِـيحُ يَحْيَـا فِـيَّ. فَمَـا أَحْيَـاهُ ٱلآنَ فِـي

ٱلْجَسَدِ. فَإِنَّمَا ٱحْيَاهُ فِي ٱلإِيمَانِ. إِيمَانِ ٱبْنِ ٱللهِ. ٱلَّذِي ٱحَبَّنِي وَٱسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي».

تحضرني هنا بعض الأبيات من ترنيمة من تأليف كيت ب. ويلكينسون Kate B. Wilkinson (١٨٥٩-١٩٢٨م)، تقول:

ليت فكر المسيح مخلّصي،

يحيا فيَّ يوما فيومًا؛

وليته بمحبته وقوته،

يتحكَّم في كل ما أقول وأفعل.

ليت جماله يحلُّ عليَّ،

فيما أسعى لأربح الضالين؛

وليتهم ينسون الأداة،

ويروه هو وحده.

الإنسان الجديد

وتأثيره العملي

«وَتَلْبَسُوا ٱلإِنْسَانَ ٱلْجَدِيدَ ٱلْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ ٱللهِ فِي ٱلْبِرِّ وَقَدَاسَةِ ٱلْحَقِّ» (أفسس ٤: ٢٤)

قراء هذه الرسالة

أُخِذ عنوان هذا المقال من الآية التي اقتبسناها لتوِّنا، وهو يعرض الموضوع الذي نرغب في التحدُّث عنه في هذا المقال، والذي يتعلق بقصد الله لجميع المؤمنين الذين ينتمون إلى «كَنِيسَةُ ٱللهِ ٱلْحَيِّ» (١تيموثاوس الأولى ٣: ١٥). بدأت الكنيسة فقط بمئة وعشرين مؤمنًا في أورشليم، من بينهم الرسل الاثنا عشر، ثم انضمَّ إليهم الثلاث آلاف نفسًا الذين آمنوا في يوم الخمسين (أعمال الرسل ١-٢). وبعد فترة وجيزة، ضمَّ الرب المزيد والمزيد إلى الكنيسة (أعمال الرسل ٥: ١٢-١٤؛ ١١: ١٩-٢٤)، وظل يفعل ذلك على مرِّ السنين، وسيظل يفعل ذلك حتى يوم الاختطاف (١تسالونيكي ٤: ١٦-١٨). ويروي سفر أعمال الرسل كيف جاء هؤلاء المؤمنون من خلفيات مختلفة تمامًا - سواء اليهودية أو الوثنية - ومع ذلك وُضِعوا معًا داخل

إطار جديد تمامًا، وأُطلق عليهم "مسيحيين" (أعمال الرسل ١١: ٢٦؛ انظر ٢٦: ٢٨؛ ١بطرس ٤: ١٦). واليوم أيضًا، يريد منا الرب أن نحذو حذوهم.

عرَّف الله الرسول بولس بأفكاره بشأن تلك التطوُّرات الجديدة، وهو بدوره أخبر بها بطرس ويوحنا، ثم الرسل الآخرين لاحقًا، ثم المؤمنين الجدد أيضًا في مواضع أخرى (غلاطية ١-٢). كان مؤمنو العهد القديم - مثل آدم، ونوح، وإبراهيم، وداود، وغيرهم - ينتمون إلى عائلة أو جماعة مختلفة من المؤمنين. وسينطبق ذلك أيضًا على الذين سوف يخلصون بعد الاختطاف. لسنا نقول ذلك لتعقيد الأمور، بل لتوضيح المقصود بالتعبير «ٱلإِنْسَانَ ٱلْجَدِيدَ» في أفسس ٤: ٢٤. أشجِّعك أن تقرأ الرسالة إلى أفسس، أو أن تعيد قراءتها، طالبًا من الرب أن يوضح لك هذه الأمور.

لكنَّ المؤمنين الذين نتحدَّث عنهم في هذا المقال، سواء كانوا رجالاً أو نساءً، يُدعَون «قديسين»، و«جسد المسيح» (أفسس ٤: ١٢). لا يعني ذلك أن المؤمنين الذين ينتمون إلى فترات زمنية مختلفة - سواء قبل يوم الخمسين أو بعد الاختطاف - ليسوا قديسين، بل هم كذلك أيضًا. لكنَّ كلمة "قديسين"، في سياق أفسس ٤، تشير إلى أولئك الذين ينتمون إلى جماعة المؤمنين نفسها التي بدأت في أعمال الرسل ٢، وستستمر حتى «مُلاقَاةِ ٱلرَّبِّ فِي ٱلْهَوَاءِ، وَهَكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ ٱلرَّبِّ» (١تسالونيكي ٤: ١٧).

وماذا عنك؟ هل تنتمي إلى هذه الجماعة؟ ما دمتَ على قيد الحياة الآن، فإن فرصتك للخلاص، ولتكون من قديسي الله، هي اليوم. فبالنسبة لك، «هُوَذَا ٱلْآنَ يَوْمُ خَلَاصٍ» (٢كورنثوس ٦: ٢).

مصدر الرسالة

كانت دعوة بولس ومهمته تتمثَّل في الحرص على أن يدرك المؤمنون في أفسس، وفي كلِّ مكان أيضًا، تلك الأمور، حتى يتمكَّنوا من السلوك وفقًا لوصايا اللّه. بتعبير آخر، أخبر بولس المؤمنين بما أعلنه اللّه له، أي بما قصده اللّه لجميع المؤمنين، ثم حثَّهم جميعًا، آنذاك واليوم أيضًا، على أن يسلكوا «كَمَا يَحِقُّ» لدعوتهم (أفسس ٤: ١)، موضحًا لهم السمات اللازمة لذلك، ألا وهي التواضع الحقيقي، والوداعة، وطول الأناة بعضهم مع البعض، والاستعداد للتسامح في محبة حقيقية. وكان كلُّ همه هو أن يدركوا تلك التعاليم، وينفِّذوها، ويواصلوا النمو، فيما يستخدمون المواهب التي أعطاهم اللّه إياها. فقد علَّم بولس المؤمنين الجدد عن أفكار اللّه، حتى يتسنَّى لهم أن يسلكوا بمقتضاها، فيختبروا البنيان (أفسس ٤: ١٢). كان الرسول قد أخبر قسوس كنيسة أفسس بأمور مماثلة عندما التقى بهم في ميليتس (أعمال الرسل ٢٠: ١٧-٣٨)، وهو في طريقه إلى أورشليم قرب نهاية رحلته التبشيرية الثالثة.

ما هو «الإنسان الجديد»؟

بعد ذلك ببضع سنوات، كتب بولس رسالته الجميلة إلى أهل أفسس، من البيت الذي استأجره لنفسه في روما، حيث كان محتجزًا كسجينٍ لمدة سنتين (أعمال الرسل ٢٨). تدور هذه الرسالة المميَّزة حول البركات الروحية في السماويات، التي

نالها المؤمنون. وقد جعله الرب يرسل هذه الرسالة حتى يعرف جميع المؤمنين، في أفسس وفي كل موضوع آخر، وفي ذلك الوقت واليوم أيضًا، تلك الأمور. وفي سبيل التمتُّع بتلك البركات الرائعة، تبنَّى اللّه الآب جميع المؤمنين الحقيقيين لنفسه، وأعطاهم نصيبًا معه في البركات التي تُبهِج قلبه. وهذه البركات والامتيازات تؤدي إلى فيضٍ من التسبيح والعبادة للآب، والابن، بقوة الروح القدس، الآن وإلى الأبد (أفسس ١: ٣-١٤؛ ٣: ١٤-٢١).

بعد الشرح أو التفسير العقائدي الذي قدَّمه الرسول بولس، والصلاتين اللتين تلاهما في هذه الرسالة الرائعة، قدم وصفًا لمقامنا المبارَك، وامتيازاتنا (أفسس ٤: ١-١٦)، ثم أضاف المزيد من الوصايا (أفسس ٤-٦). فعلى عكس نمط حياتنا السابق، في حالتنا الفاسدة، يحدث تجديد عندما نلبس «الإنسان الجديد». ويمكن وصف هذا الإنسان الجديد بأنه "المسيح كما هو الآن، منسوخًا في جميع المؤمنين، بواسطة عمل اللّه في الخليقة الجديدة" (انظر أفسس ٤: ٢٤). يا للروعة!

من جانبنا، يعني ذلك حدوث تغيير عميق؛ كما يعني وجود التزام خاص علينا (أفسس ٤: ٢٥-٣٢)، في عملية تجديد مستمرة لأذهاننا (أفسس ٤: ٢٣). يتزامن هذا مع لبس «الإنسان الجديد»، المخلوق بحسب اللّه في البر وقداسة الحق (أفسس ٤: ٢٤). كلمة «جديد» هنا تشدِّد على وجود "نظام جديد"، في حين يشير "التجديد"، في أفسس ٤: ٢٣، إلى عملية مستمرة ومتجددة. فإن الأصل العبري لكلمة "جديد" (الآية ٢٤)، وللفعل "تتجددوا" (الآية ٢٣)، ليس واحدًا.

يؤكِّد أفسس ٤: ٢٤ على أن هذا الكيان الجديد - "الإنسان الجديد" - هو "بِحَسَبِ ٱللهِ"، وكذلك أنه «مَخْلُوقَ ... فِي ٱلْبِرِّ وَقَدَاسَةِ ٱلْحَقِّ». يشير هذا الوصف إلى عمل اللّه في الخلق، المتوافق تمامًا مع معاييره بشأن القداسة والبر. وأوضح الرسول أيضًا كيف يتجلَّى هذا الإنسان الجديد، أو يُرى، في صورة تغيير أخلاقي، مما يوحي ضمنًا بأن عملًا إلهيًا مدهشًا يحدث في الوقت نفسه. وتساعدنا وصايا بولس العملية على تنفيذ ذلك، لمجد اللّه وبركة شعبه. وفيما يلي بعض الوصايا الواقعية، التي يجب أن نمارسها لحظة بلحظة. دعونا نقرأ المقطعين التاليين سويًّا:

«وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَمْ تَتَعَلَّمُوا ٱلْمَسِيحَ هَكَذَا، إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمُوهُ وَعُلِّمْتُمْ فِيهِ كَمَا هُوَ حَقٌّ فِي يَسُوعَ، أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ ٱلتَّصَرُّفِ ٱلسَّابِقِ ٱلإِنْسَانَ ٱلْعَتِيقَ ٱلْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ ٱلْغُرُورِ، وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ، وَتَلْبَسُوا ٱلإِنْسَانَ ٱلْجَدِيدَ ٱلْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ ٱللهِ فِي ٱلْبِرِّ وَقَدَاسَةِ ٱلْحَقِّ» (أفسس ٤: ٢٠-٢٤)

يشير ذلك إلى عملية تعلُّم يجتازها جميع المؤمنين بصفتهم تلاميذ، أو طلابًا، في مدرسة اللّه. فلا يشير ذلك إلى ديانة، بل إلى علاقة باللّه، وببعضنا البعض، نشأت بفضل اللّه، بصفتنا تلاميذه وأتباعه. ويصف الكتاب المقدس المسيح يسوع - وهو الشخص الذي نتعلَّمه، والذي يتصوَّر فينا (انظر غلاطية ٤: ١٩) - بأنه مجَّد الآن، وبأنه هو نفسه المعلِّم بواسطة الروح القدس. كما أنه - إذا جاز لي أن أستخدم هذا التعبير لوصف الرب يسوع - هو الدرس الذي نتعلَّمه في كلِّ يوم وكلِّ ظرف، والموجود في كتاب اللّه الحي. فإن الكتاب المقدس - كلمة اللّه - حي وفعال؛ وهو يصف لنا في كل صفحة من صفحاته عظمة ربِّنا يسوع!

«لِذَلِكَ ٱطْرَحُوا عَنْكُمُ ٱلْكَذِبَ، وَتَكَلَّمُوا بِٱلصِّدْقِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ قَرِيبِهِ، لأَنَّنَا بَعْضُنَا أَعْضَاءُ ٱلْبَعْضِ. اِغْضَبُوا وَلا تُخْطِئُوا. لا تَغْرُبِ ٱلشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ، وَلا تُعْطُوا إِبْلِيسَ مَكَانًا. لا يَسْرِقِ ٱلسَّارِقُ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ بِٱلْحَرِيِّ يَتْعَبُ عَامِلاً ٱلصَّالِحَ بِيَدَيْهِ، لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ ٱحْتِيَاجٌ. لا تَخْرُجْ كَلِمَةٌ رَدِيَّةٌ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحًا لِلْبُنْيَانِ حَسَبَ ٱلْحَاجَةِ، كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلسَّامِعِينَ. وَلا تُحْزِنُوا رُوحَ ٱللهِ ٱلْقُدُّوسَ ٱلَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ ٱلْفِدَاءِ. لِيُرْفَعْ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَغَضَبٍ وَصِيَاحٍ وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ خُبْثٍ. وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ، مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ ٱللهُ أَيْضًا فِي ٱلْمَسِيحِ» (أفسس ٤: ٢٥-٣٢)

إن عملية التعلُّم والتجديد هذه، اللازمة من أجل تكوين وبنيان الإنسان الجديد، هي عملية دقيقة وشاملة وفعالة للغاية، لأنها برنامج اللّه. دعونا نتبع هذه الوصايا التي أعطاها لنا بولس، لخيرنا وخير الآخرين أيضًا.

إخضع لخطته

يؤدي لبس الإنسان الجديد إلى نتائج مذهلة. وهذه النتائج تُظهِر قوة طرق اللّه وقوة موارده. ليتنا نكون جميعًا مستعدين للسعي جاهدين، ولا نقاوم عمل الروح القدس فينا ومعنا.

التغيير الشامل!

لا تقدم المسيحية تهذيبًا خارجيًا للإنسان، ولا علاجًا مسكنًا لفساده المطلق وعجزه الكامل.

إن الإيمان المسيحي ليس هو قلب صفحة جديدة، ولا تنسيق تدريجي لاخلقيات دينية... بل هو تغير كامل وشامل «إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا» (كورنثوس الثانية ٥: ١٧).

إن التوبة عن الخطية، وقبول كفاية عما المسيح لأجلنا على الصليب تغير المضطهد إلى راعي (الرسول بولس) وغير الامين إلى الأخ الأمين الحبيب (أنسيمس) الذي كان قبلاً غير نافع وبعد تغييره صار نافعًا للرب وللقديسين. وهكذا الملايين عبر كل العصور.

القارئ العزيز: هل تشعر بحاجتك إلى التغيير نحو الأفضل. لا وسيلة حاسمة لذلك سوى التوبة والرجوع إلى اللّه، والإيمان بالمسيح وعمله الكامل على الصليب وساعتها ليس فقط ستختبر التغير الشامل لكن أيضًا ستبدأ رحلة التجديد الكامل في طريقك نحو الأبدية السعيدة المجيدة. تعال إلية الآن... فتتغير بالتمام.

حياة بولس

الفصل الخامس عشر

في ضعف وخوف (١كو٢: ٣)

خمس ساعات قضاها الرسول في خليج سارونا حتى وصل إلى كنخريا، ميناء كورنثوس الشرقية، لأن هذه المدينة العظيمة كان لها ميناءان؛ ليكيوم غربًا، لتتصل عن طريقها بالأدرياتيك؛ والثانية؛ كنخريا شرقًا، لتتصل عن طريقها ببحر اليونان. وهكذا كانت بضاعة الشرق تنتقل عن طريق هذه الميناء إلى تلك المدينة العظيمة، التي كان يفد إليها الكثيرون بسبب الحركة التجارية. وهذا الموقع الممتاز جعل للمدينة أهمية خاصة في نظر الرسول، لأنه كان يتوق دوامًا لانتهاز أية فرصة لنشر إنجيل ربه. فكان تأسيس كنيسة مسيحية هناك معناه إلقاء بذار التعاليم المسيحية في المياه التي تحملها شرقًا وغربًا؛ فعلى خدام المسيح أن يكونوا ماهرين في تدبير الخطط، ويبذلوا جهودهم حيث يكثر الناس، وحيث يزداد نفوذهم انتشارًا.

على أن الرسول دخل المدينة المتعجرفة الجميلة "في ضعف وخوف ورعدة كثيرة"، فإنه لم ينس الاحتقار الشنيع الذي قوبل به في أثينا، والذي كان أثقل على نفسه

من الاضطهاد الشديد. لعله كان يعاني آلامًا مرة من مرضه المزمن، ولم يكن معه لوقا ليخففها عنه، وكان شاعرًا تمامًا بعجزه في مواهب العلم والفصاحة التي اشتهر بها الكورنثيون، وكان يعلم أن كلامه وكرازته لا يمكن أبدًا أن يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع، وكان عزمه الأكيد أن لا يُعرف شيئًا بينهم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبًا.

كانت هنالك صعوبات أخرى كثيرة ينبغي أن يواجهها، مما زاد في صعوبات خدمته في كورنثوس، وجعل نجاحه التالي أكثر وضوحًا.

(١) ضرورة العمل اليدوي المستمر:

في رسالته الأولى إلى كورنثوس، يؤكد هذه الحقيقة بأجلى بيان، ومع أنه كان يشير دوامًا إلى احتفاظه بالحق المتضمن أن الذين يخدمون الإنجيل يعيشون من الإنجيل، فإنه لم يستعمله، بل كان يتحمل كل شيء، فهذا أولى من أن يعطل تقدم الإنجيل، أو يعرقل تأثيره.

إزاء التجار والصناع الذين وفدوا إلى المدينة من كل ناحية، والذين يهون عليهم أن يضحوا بكل شيء من أجل المنفعة المادية، لم يشأ أن يعطيهم أية فرصة ليتقولوا عليه، بأنه إنما يعمل بدافع الارتزاق، لذلك، استأنف مهنته لصناعة الخيام، وأتيحت له الفرصة للإقامة عند شخصين مسيحيين يهوديين كانا قد لجأا إلى تلك المدينة بأمر من الإمبراطور الذي طرد جميع اليهود من رومية.

يخبرنا سونيونوس المؤرخ، أن السبب في هذا الأمر هو الثورة التي قام بها شخص يدعى كاستوس بصدد المناقشات الحادة وسط جماعة اليهود المتعلقة بأن يسوع هو المسيا المنتظر. لذلك، "أقام (بولس) عندهما، وكان يعمل لأنهما كانا في صناعتهما خيامين". وقامت صداقة بينه وبين أكيلا وبريسكلا امرأته، وكانت هذه الصداقة عاملاً قويًا لانتشار المسيحية في العاصمة التي قدما منها، وفي أفسس التي رافقا صديقهما الجديد إليها، ولعل بولس عمل كمستخدم عندهما، وعلى أي حال، فقد كان العمل ضئيلاً، والأجور زهيدة، ولذلك كثيرًا ما كان في عوز فعلي (٢كو١١: ٩؛ ١كو٤: ١١و ١٢).

كان عجيبًا جدًا أن تلك النهضة، التي اكسبت كورنثوس شهرة أعظم منه العابها، أو هندستها المعمارية، أو بلاغتها الخطابية، صدرت عن حانوت متواضع في الحي اليهودي، حيث اجتمع حفنة من اليهود اللاجئين للعمل في صناعتهم، وكانوا أثناء العمل يتكلمون عن يسوع الناصري الذي صُلب من ضعف، لكنه حي بقوة اللّه. كانوا هم أيضًا ضعفاء معه، ولكنهم كان لابد أن يحيوا ويملكوا معه على قلوب البشر بقوة اللّه (٢كو١٣: ٤).

(2) بغض اليهود الشنيع:

كان بولس حسب عادته يذهب إلى المجمع كل سبت، يُحاج ويقنع اليهود اليونانيين، بأن الفكرة التي تضمنتها الأسفار المقدسة العبرانية تتلخص تمامًا في المسيا المتألم المصلوب. استمر هذا الحال بضعة أسابيع، على أن جهوده قلت لحد ما، بسبب كثرة عمله اليومي المضني، ولكن لدى وصول تيموثاوس وسيلا، الواحد من

تســـالونيكـي، والآخر من بيريـه، حـاملين الأخبـار الســـارة عن ثبـات أولاده الروحيين وأيديهما مملوءة بالإعانات الســـخية، اســـتطاع أن يعمل بنشـــاط أوفر في خدمته المحبوبة «كَانَ بُولُسُ مُنْحَصِرًا بِالرُّوحِ وَهُوَ يَشْهَدُ لِلْيَهُودِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ» (أع١٨: ٥).

كان هذا أكثر مما يستطيع تحمله الرجال المسئولون بين اليهود لذلك «كَانُوا يُقَاوِمُونَ وَيُجَدِّفُونَ » وطردوه من المجمع، وحنقوا عليه بدرجة غير عادية، كانوا غير معقولين وأشـــرارًا، مدفوعين بالروح الذي بعث أمتهم على قتل الرب يســـوع والأنبياء، هم غير مرضـــين لله وأضـــداد لجميع الناس، « وَهُمْ غَيْرُ مُرْضِـــينَ للهِ وَأَضْـــدَادٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ» (١تس٢: ١٤- ١٦؛ ٢تس٣: ٢).

وصـــل حنقهم إلى أقصـــى حدوده، عندما قبل الرســـول بفرح ما عرضـــه عليه رجل دخيل متعبد لله اسمه تيطس يوســـتس، لكي يعقد اجتماعاته في بيته، وكان ملاصـــقًا للمجمع، كانت نتيجة هذه الخطوة الجديدة موفقة جدًا، فقد كان من التصـــق بالرســـول من المجمع كريســـبس رئيســـه الذي آمن بالرب مع جميع بيته، وكثيرون أيضـــًا من الكورنثيين إذ سمعوا آمنوا واعتمدوا، إذ ازداد الإقبال على مكان الاجتماع الجديد هذا، وازدادت النهضة عددًا وقوة، ازداد اليهود سخطًا، وأخيرًا، قاموا جميعهم قومة رجل واحد، وقبضـــوا على بولس وجروه أمام الوالي الروماني، الذي تصـادف أن يكون غاليون، أخ ســنيكا الفيلســوف المشــهور ومعلم نيرون. كان رجلاً مثقفًا ثقافة غير عادية، ومهذبًا ولطيفًا وحلو المعشـــر، وكان يمثل الآراء الحرة للرومانيين المتعلمين، وللسياسة التي ينبغي أن تتبعها رومية إزاء الديانات المختلفة في المقاطعات، ولما تبين أن التهمة الموجهة إلى بولس ليســـت جوهرية، ولا تتعلق

بالحقائق، ولا هي أخطاء مدنية أو ثورات أدبية، بل هي مسألة عن كلمات وأسماء وناموس يهودي، لم يستطع أن يتصرف فيها أو معهم بشيء، بل أمر رجاله بطردهم من الكرسي.

أما اليونانيون فقد فرحوا اذا وجدوا أن الازدراء قد حل باليهود المبغضين، فانتهزوا الفرصة وقبضوا على سوستانيس، الرئيس الجديد للمجمع، الذى شغل هذا المركز بدلا من كريسبس وضربوه قدام الوالي، وهذا لم يبالِ قط بما فعلوه. ماذا يهمه ان ضُرِبَ احد اليهود بعض الجلدات أكثر أو أقل؟ لا شك في أنهم كانوا يستحقون تماما هذا التأديب، وطالما كان لا يسبب أي اضطراب عام، فإنه نافع لتحذير اليهود من إثارة أمورهم أمام الرأي العام أو إزعاج خاطره.

على أن هذا الحادث لابد أن يكون قد ضاعف حقد اليهود على الرسول وتابعيه، سيما عندما أنضم إليه سوستانيس نفسه وتجدد بين يديه على ما يبدو، والتصق به، حتى أنه في السنوات التالية، اقترن اسمه به عند كتابة الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس «وَسُوسْتَانِيسُ الأَخُ» (١كو١:١)

(3) أخلاق تابعيه:

كانت كورنثوس تشبه باريس في شرها ونيو ماركت* في انهماكها بالألعاب الرياضية، وشيكاغو في تعدد الجنسيات بين شعبها، ومدينه الاباطيل† في استهتارها

* مدينة في انجلترا مشهوره بساحاتها لسباق الخيل.

† مدينة وهمية، ذكرها مؤلف كتاب "سياحة المسيحي"

وطياشتها. فيها تجمعت حثالة العالم، وجد فيها الجنود والبحارة العبيد والعاهرات ركاب خيل السبق وسائقوا العربات، لاعبو الألعاب الرياضية والمصارعون الرومانيون بمراكزهم الملكية، واليونانيون بقسماتهم العادية، واليهود بمميزاتهم التي لا تتغير، و السكيثيون من شواطئ البحر الاسود، رجال من بين النهرين، وبنطس ومصر وآسيا الصغرى جميع هؤلاء منهمكون في أعمالهم أو ملاهيهم، وملوثون بدرجات متفاوته بشر هذه المدينة الفاجرة، كان فيها هيكل الزهرة بألوف كاهناته اللاتى أبحن الرزيلة، والالعاب الرياضية التي كانت تقام مره كل ثلاثة سنوات بما تحفل من المراهنات والميسر، وكانت أخلاق الشعب المتباينة باعثه على تبلبل الآراء والافكار، ولذا فلم يكن لها ضابط أو حد معين.

قدم بولس رسالته لمدينة بهذه الاوصاف، وقد شجعه تأكيد الرب له بأن له شعباً كثيرًا فيها، كثيرًا ما أتى السيد لعبيده المجربين المضطهدين كما أتى للرسول؛ قد يكون هناك شعور بالضعف والخوف، قد ينطقون بكلمته برعدة، قد يهزأ بهم كموضوع للسخرية، وقد يحاطون بالمتاعب والآلام والاضطهاد، ولكنه يقف بجانبهم برؤيا قائلا: «لاَ تَخَفْ. بَلْ تَكَلَّمْ وَلاَ تَسْكُتْ لأَنِّي أَنَا مَعَكَ، وَلاَ يَقَعُ بِكَ أَحَدٌ لِيُؤْذِيَكَ.... هَا إِنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ اجْتِمَاعًا لَيْسَ مِنْ عِنْدِي. مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْكِ فَإِلَيْكِ يَسْقُطُ.... كُلُّ آلَةٍ صُوِّرَتْ ضِدَّكِ لاَ تَنْجَحُ، وَكُلُّ لِسَانٍ يَقُومُ عَلَيْكِ فِي الْقَضَاءِ تَحْكُمِينَ عَلَيْهِ» (أع١٨: ٩، ١٠؛ إش ٥٤: ١٥، ١٧).

تحت تأثير هذا التشجيع، ظل بولس يعمل بنجاح عظيم سنة وستة أشهر في هذه المدينة الفاجرة. صحيح أنه لم يكن بين المختارين كثيرون من الحكماء أو الأقوياء أو

الشـــرفاء (١كو١: ٢٦)، بل إن الذين حســـبوا في نظر قادة كورنثوس المتعلمين بأنهم ضـعفاء وأدنياء ومُزدَرى بهم، اختيروا كحجارة الأسـاس لهذه الكنيسـة الجديدة، قد يكون كريسبس وغايوس واستفاناس وأهل بيته، وهؤلاء أجمعون عمدهم الرسول - خلافًا لعادته - قبل وصول تيموثاوس وسيلا، ولكن هؤلاء يعتبرون استثناء للقاعدة العامة، ولعل الأغلبيه في هذه الجماعة الصغيره كانت النساء لأن الرسول خصص مكانًا كبيرًا في رسالته لتقويم أخلاقهن، نـــحن على الأقل نعرف عن فيبي شماسة كنيسة كنخريا التي حملت رسالته إلى رومية، وخلوي التي كان خدم بيتها واسطة الاتصال ببولس لما كان في افسس.

وعلى أي حال، فقد كان معظم المتجددين على يديه من الطبقة الدنيا، ومن اســتغرقوا جدًا في الرذائل التي ســوأت سمعة كورنثوس. كانت المدينة مباءة للزناة وعبدة الأوثان والفاســقين والمأبونين والســارقين والطماعين والســكيرين والشــتامين والخاطفين، وهكذا كان أناس منهم (١كو٦: ٩- ١١)، ولكن بعد الكرازة بالإنجيل، حدث فيهم تغيير عجيب بقوة الروح القدس، فاغتسلوا، بل تقدسوا، بل تبرروا باسم الرب يسوع. وبروح إلهنا، صار يسوع حكمتهم وبرهم وقداستهم وفداءهم، وإذ أنقذوا من سلطان الظلمة، صاروا أبناء نور وأبناء نهار، ورثة الله ووارثين مع ابن محبته.

ياله من فرق شاسع بين هذه الكنيسة الصغيرة والعالم الوثني المتسع الأرجاء الذي اختيرت منه، إننا لنتخيل أحد اجتماعاتها قبيل انتهاء زيارة الرسول إليها، كان ذلك في مســاء ســبت، في الخارج اكتظت الشــوارع بطلاب الملاهي والملذات، جماعات من الكســالى يتباحثون في شــأن ســباق العربات الأخير، أو يقذفون بأموالهم في ألعاب

المصارعات القادمة. والكل يلهو ويلعب؛ وفي الأرض يعيثون فسادًا. أما في الداخل، في مكان الاجتماع الصغير، فالكل هادئون وساكنون. بولس يتكلم عما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب إنسان. والرجال بدورهم يتكلمون لبنيان بعضهم بعضًا بمزمور أو تعليم أو رواية أو ترجمة الألسنة الغريبة. أما النساء، فبكل احتشام وسكون يصغين. الآن، تُمد وليمة المحبة، وكل واحد يقدم ما يشاء من المؤونة للمخزن العام. وللحال، يختم الاجتماع بالعشاء الرباني، والكل يشتركون فيه وفقًا للطريقة التي تسلمها الرسول من الرب يسوع نفسه (١كو١، ١٢).

كانت هذه نتيجة عجيبة إذا قورنت بالكيفية التي دخل بها إليهم «فِي ضَعْفٍ وَخَوْفٍ»، ولكنه واضح أن الرسول لم يقتنع بها بتاتًا، فقد شكا لأنه لم يستطع أن يكلمهم كروحيين، بل كجسديين، كالأطفال في المسيح، ولأنه اضطر أن يطعمهم لبنًا لا طعامًا، ولا شك في أنه تبين بداءة عمل تلك الخميرة غير المقدسة، التي كانت لها فيما بعد نتيجة مروعة، ولعله، حتى قبل مغادرتهم، قد ظهرت له بوادر روح التفرقة، وتفضيل المواهب على النعمة، وإساءة استعمال الحرية، والسيادة غير الشرعية للمرأة في الاجتماعات العامة، والشراهة في ولائم المحبة، والخلط في الخدمات، والتعاليم الغريبة في عقيدة القيامة. لذلك، فإنه لابد أن يكون قد خامرته الكثير من الهواجس عندما انتزع نفسه من بينهم في ختام إقامته الطويلة، تاركًا الكنيسة الفتية لعناية اللّه، وقلبه جزع من نحوها كجزع قلب يوكابد، أم موسى، عندما القت بطفلها في النيل.

ولكن، رغم تركه للمدينة، فإنها تركت أثرًا لا يُمحى في طريقة تفكيره وتعبيره، فإنه فيها تأثر بتلك النظيرات السامية التي ذاعت في رومية سيدة العالم. وفيها كتب رسالتيه الأوليين، أي الرسالة الأولى والرسالة الثانية إلى تسالونيكي، وفيها أيضًا اضطر لدراسة الأمور المتعلقة بإنشاء وإدارة الكنائس عير المتجانسة في تكوينها. وفيها وصل إلى الطريقة النهائية للمناداة بالإنجيل، بعد ذلك بسنوات، نراه يشير إلى اختلاط الذهب والفضة والحجارة الكريمة بالخشب والعشب والقش في بناء الهياكل وغيرها من المباني الأخرى، أو إلى تشبيه الجسد بالهيكل، أو استقاء التشابيه من المصارعات والألعاب الرياضية ومواكب النصر والمناظر التمثيلية. ويبدو كأن كلامه كان مصوغًا بالألوان المستعارة من المناظر التي ألفها في شوارع كورنثوس.

وعلى أي حال، فقد اعتزم أخيرًا ترك كورنثوس، وكانت هنالك أسباب كثيرة للتعجيل باتخاذ هذه الخطوة، وكان من بينها رغبته في الذهاب إلى أورشليم ليتبين شعور الكنيسة الأم، ولزيادة استرضاء العنصر المحافظ هناك، ارتبط بنذر أراد إتمام طقوسه الأخيرة في الهيكل، اضطر لحلق رأسه في كنخريا لانتهاء شهر النذر، ولكنه حمل الشعر معه ليحرق على المذبح الكبير في دار الهيكل. ولعل أكيلا وبريسكلا اعتقدا أن أفسس قد تكون سوقًا أكثر رواجًا لبضاعهما من كورنثوس لذلك، أقلعا معه، وهكذا انتهت أول إرسالية خالدة في اليونان. وللمرة الرابعة، يذهب الرسول إلى المدينة العزيزة عليه جدًا، وتختلط في مخيلته ذكريات ربه بذكريات داود وسليمان وحزقيا وعزرا.

أفضل الأشخاص هم في النهاية مجرد بشر

"أَمَّا ٱلشُّيُوخُ ٱلْمُدَبِّرُونَ حَسَنًا فَلْيُحْسَبُوا أَهْلًا لِكَرَامَةٍ مُضَاعَفَةٍ، وَلا سِيَّمَا ٱلَّذِينَ يَتْعَبُونَ فِي ٱلْكَلِمَةِ وَٱلتَّعْلِيمِ" (١تيموثاوس ٥: ١٧). لكن، ينبغي أن نحترس من تأليه هؤلاء الأشخاص - حتى خدام اللّه العظماء منهم - لأنهم لا يزالون بشرًا خاضعين للمحدوديات البشرية. وأرجو أن تُثبِت الأمثلة التالية الفكرة المراد توصيلها:

* عالي الكاهن أساء الفهم. فعندما كانت حنة تصلي، ظنَّها ثملةً (١صموئيل ١: ١٢-١٦)

* صموئيل أيضًا أساء الفهم. فقد شعر بأن أليآب، الابن البكر ليسَّى البيتلحمي، سيكون هو الملك المختار من اللّه، وليس داود (١صموئيل ١٦: ١-٦)

* داود أيضًا أساء الفهم. فعندما ذهب لقتل نابال وجميع رجال بيته، أعادته زوجة نابال إلى صوابه، منبهة إياه إلى الضرر الذي قد يؤدي إليه مثل هذا العمل الانتقامي (١صموئيل ٢٥: ١٣-٣٤)

* ناثان أيضًا أساء الفهم. فقد وافق على خطة داود لبناء بيتٍ للّه. لكن الرب أمر ناثان بأن يعود إلى داود، ويخبره بأن سليمان هو الذي سيبني الهيكل بدلاً منه (٢صموئيل ٧: ١-١٣)

لذلك، احترس من المبالغة في تقدير أيِّ شخص. بل في حقيقة الأمر، عليك أن تقاوم أيَّ نزعة لديك إلى تأليه أي شخص تقدِّر قيمة خدمته، أو تستفيد من تعاليمه، أو تتبع كلمته النبوية (انظر ١كورنثوس ٣: ٤-٧). فإن الكمال لا يَكمُن إلا في ربِّنا يسوع المسيح وحده، في حين أن "أفضل الأشخاص هم في النهاية مجرد بشر". فإن النصيحة الملائمة بخصوص خدام الرب الذين يخدموننا هي: "أَيُّهَا ٱلإِخْوَةُ، صَلُّوا لأَجْلِنَا" (١تسالونيكي ٥: ٢٥).

ونحن بصدد القول إن "أفضل الأشخاص هم في النهاية مجرد بشر"، علينا ألا ننسى أيضًا أن نفحص أنفسنا بجدية، من حيث تقييمنا لأنفسنا. تناول الرسول بولس هذا الأمر بقوله إنه ينبغي «أَنْ لَا يَرْتَئِيَ [أحد] فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ، بَلْ يَرْتَئِيَ إِلَى ٱلتَّعَقُّلِ، كَمَا قَسَمَ ٱللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَارًا مِنَ ٱلإِيمَانِ» (رومية ١٢: ٣). وبعدما نفحص أنفسنا، ينبغي أن نتذكَّر أنه على الآخرين أيضًا أن يأخذوا بالنصيحة المذكورة أعلاه، فيما يتطلَّعون إلينا!

من روائع الكلمة

التدابير السبعة

بين فشل الإنسان... ونعمة الله ومجده

تمر علاقة اللّه بالإنسان عبر الكتاب المقدس عبر ٧ تدابير رئيسية (التدبير كلمة كتابية تعني فترة زمنية معينة يتعامل فيها اللّه مع الإنسان بطريقة معينة):

١. تدبير البراءة في الجنة.. وفشل بسقوط الإنسان.

٢. تدبير الضمير في الجنة... وفشل الإنسان وأتى الطوفان.

٣. تدبير الحكومات بعد الطوفان.. وفشل نتيجة عدم عدل الحكومات البشرية.

٤. تدبير الآباء والدعوة... بداية من إبراهيم أبو المؤمنين ولكن ظهر الفشل جليًا في يعقوب في بداياته.

٥. تدبير الناموس... وأظهر فشل الشعب القديم وعجز الإنسان عمومًا عن ارضاء اللّه.

٦. تدبير النعمة.. والذي جاء فيه الرب يسوع المسيح مملوءًا نعمة وحقًا.

٧. تدبير ملء الأزمنة.. والذي قريبًا سيملك فيه المسيح.

وهكذا نجح تدبير النعمة الحاضر لأن الإنسان نُحى جانبًا... وسيمنح تدبير الملك الألفي. قريبًا لأنه فيه سيكون الرب وحده واسمه وحده!